

الوحدة الموضوعية لسورة البقرة عند الفراهي بين صحة التأصيل واكتمال المنهج^(*)

عبدالرحمن قايد علي العديني¹، ذو الكفل محمد يوسف،
علي بن علي جبيلي ساجد

*(The Unity of Objectivity of Al-Farahi's Work on Surat Al-Baqara in
Line with the Accuracy of Root and Completion of Method)*

Abdulrahman Qaid Ali Al-Odaini, Zulkifli Mohd Yusoff,
Ali Ali Gobaili Saged

ABSTRACT

This research aims to investigate the complementarity between the rooting and the implementing of Al-Farahi's method in the Surra unity and theme. It is considered as one of the most important issue of the explanation theme. Unity and theme are of great significance to explain. They have a specific descriptions of scientific standards. The main goal of this research is to define Al-Farahi's rooting method in the unity and theme of a Quranic Surra. This study demonstrates the unity and theme of Surat Al-Baqara and demonstrates how the comparison is done on the original root of the Surra. This study enhances bolstering the Quranic studies which is specialized in the explanation of theme by the original s theory inspiring by the Imam's methods. This study adopts analytic research method to analyzes Al-Farahi's method in the explanation of Surat Al-Baqara. Devising method is also adopted to which is used in devising the emitting civilization of Al-Farahi in explaining of Surat Al-Baqara. Critical method approach is used to disproves the saying of taking out the unity theme from the explanation theme. This shows that Al-Farahi didn't his method in his explanation.

^(*) This article was submitted on: 21/02/2021 and accepted for publication on: 18/03/2021.

¹أكاديمية الدراسات الإسلامية- جامعة ملایا - كوالالمبور - ماليزيا abohanan202@gmail.com

The study concludes that Muslim scientists have to present a wonderful heritage in explaining theme since there are no significant studies having discussed this issue. The study finds that Al-Farahi despite being excellent, is not practical.

Keywords: *Explanation Theme. The Topicality Unit of Surah, Civilizational Dispatching, Al-Farahi*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التحقق من التكامل بين التأصيل والتطبيق في منهج الفراهي في الوحدة الموضوعية للسورة، وهي قضية تعد من أهم قضايا التفسير الموضوعي، لما لها من حسم في قضية كون الوحدة الموضوعية داخلة في التفسير الموضوعي، ولها معاملها المحددة الأوصاف، ومقاييسها العلمية. تلك القضية التي ما زالت محل نزاع كبير. ولهذا جاءت أهداف البحث متمثلة في: التعريف بجهود الفراهي التأصيلية في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وبيان الوحدة الموضوعية لسورة البقرة - وهي أهم عمل تطبيقي - ومدى انسجامها مع أصول منهجه، وهو ما أوقف الباحثين على اكتمال منهج الفراهي تأصيلاً وتطبيقاً. وتكمن أهمية البحث في: الإسهام في رد وتعزيز الدراسات القرآنية المتخصصة في التفسير الموضوعي بالأصول النظرية المستلهمة من مناهج أئمة التفسير الموضوعي السابقين والمعاصرين. وكذا المشاركة في إنارة الطريق للباحثين لمواصلة الجهود العلمية المدروسة في استكمال إظهار ملامح التفسير الموضوعي. وقد اعتمد البحث المناهج العلمية الآتية: المنهج التحليلي: وذلك بتحليل منهج الفراهي في تفسير سورة البقرة، والمنهج الاستنباطي: وتم استعماله في استنباط البعث الحضاري عند الفراهي في تفسير سورة البقرة، المنهج النقدي: وذلك بتنفيذ الدعوى القائلة بخروج الوحدة الموضوعية من التفسير الموضوعي، ودعوى عدم تطبيق الفراهي لمنهجه في تفسيره. وقد خلص البحث إلى نتائج من أهمها: أن علماء المسلمين قد قدموا تراثاً رائعاً في باب التفسير الموضوعي، وأن الاستفادة من ذلك التراث ما يزال قاصراً بدرجة كبيرة، كما أن منهج الفراهي وصل إلى صحة التأصل من الناحية النظرية، واكتمل من الناحية التطبيقية. وبهذا

فإن دعوى قصور الفراهي في تطبيق منهجه مع تفوقه في التأصيل لا صحة لها على الإطلاق، بل إن الفراهي هو خير من اكتمل منهجه تأصيلاً وتطبيقاً.

كلمات دالة: التفسير الموضوعي، الوحدة الموضوعية للسورة، البعث الحضاري، الفراهي.

1- مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام عليه من قال له ربه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أما بعد: فإن الله تعالى جعل العلماء ورثة الأنبياء، وأخذ عليهم الميثاق أن يبينوا العلم ويبلغوا عن الله ورسوله، فشددت العلماء عزائمها، وأقبلت بكليتها على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستنبطون منهما الدرر، ويستخرجون منهما العلوم والحكم، في التفسير والفقه والعقيدة وغيرها، وكان من هؤلاء الأعلام الذين أفنوا حياتهم في نشر العلم ونشر فوائده، واستخلاص فرائده، الإمام ترجمان القرآن عبد الحميد بن عبد الكريم الفراهي. فبعث في نفوس الباحثين أن يتناولوا الوحدة الموضوعية عند هذا الإمام رحمه الله.

مشكلة البحث

يبين سعيد أن هذا العلم لا يزال محتاجاً إلى مزيد من الجهد، والضبط، والتحرير.² ويؤكد الدغامين: أن الجهود في هذا التفسير لما تكتمل بعد، فهو ما زال بحاجة إلى تأصيل وضبط.³ ويذهب رشواني إلى أن التفسير الموضوعي ما يزال علماً ناشئاً لم تتضح

² انظر: سعيد، عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط2، 1991م) ص8.

³ انظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، (الأردن، عمان، دار عمار، 2007م) ص9.

معامله⁴. وقد وجد المشني أن المكتبة القرآنية بحاجة إلى دراسات في التفسير الموضوعي تعتمد على منهجية الموازنة والمقارنة⁵. ولا تزال الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بحاجة إلى إقامة الأدلة على كونها علما واضح المعالم، لأن النقد الموجه لها ما يزال قائما، وقد عبر عنه عبد الستار سعيد بعد أن قرر أن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية أمر تقوم عليه الأدلة، وتطمئن إليه النفس والعقل، ولكن لا يزال البون بعيدا في وضع هذا على قوالب علمية محددة تنتقل به من باب الالتماس والاجتهاد، والظن وكثرة الخلاف، إلى باب الحقائق المحددة المعالم والأوصاف. ومتفائلا في الوقت ذاته أنه آت قريب⁶.

وقد وقف الباحثون على كلام للدغامين يشيد فيه بمنهج الفراهي من حيث التأصيل بقوله: "وبالنظر فيما كتبه المعلم الهندي عبد الحميد الفراهي من تفسير للقرآن سماه نظام القرآن وجعل له مقدمة سماها دلائل النظام، نجد محاولة جادة لتأصيل منهج الوصول إلى الوحدة الموضوعية في السورة"⁷.

ولأنه لم يطلع على تفسيره لسورة البقرة، واعتمد على ما ذكره عن عمود سورة البقرة في كتاب دلائل النظام؛ فقد رأي أن الفراهي لم يطبق منهجه عمليا. "لكنه في تفسيره لم يطبق هذه النظرية، وفي تعيينه لعمود السورة، أو الوحدة الموضوعية فيها لم يكن يصدر عن منهجه الذي وضعه، ففي موضوع سورة البقرة ذكر أنها سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام، فجمعت دلائلها"⁸.

ثم يذهب إلى حكم أقسى من الأول فيقرر: "إن الفراهي لم يقف في تفسيره للسورة مع كل آية أو جملة أو كلمة من كلماتها، ولكنه وقف في السورة وقفات حاول أن يوضح

⁴ انظر: رشواني، سامر عبد الرحمن، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، (حلب، دار المنتقى، 2009م) ص 8-9.

⁵ انظر: المشني، مصطفى إبراهيم، التفسير المقارن دراسة تأصيلية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 26، إبريل 2006م، ص 198-199.

⁶ انظر: سعيد، عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 90.

⁷ انظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص 223.

⁸ انظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص 225.

من خلالها وحدة الموضوع الذي قرره في مطلع حديثه في بداية السورة، هذا الموضوع قد تقرر سريعاً دون الوقوف على مناسبة كل آية لما تقدمها، أو لما لحق بها من آيات⁹. وهذا ليس له في الحقيقة أساس من الصحة. بل إن الأمر على خلاف ذلك وهو ما سيدلّل البحث عليه.

ولهذا يمكن اختزال مشكلة البحث في هذا السؤال: ما أثر دراسة وتحليل منهج

الفراهي التأصيلي والتطبيقي للوحدة الموضوعية للسورة القرآنية على التفسير الموضوعي؟

أسئلة البحث

- 1) ما جهود الفراهي التأصيلية في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية؟
- 2) كيف طبق الفراهي منهجه في الوحدة القرآنية على سورة البقرة؟
- 3) ما أهم الأشياء التي قدمها الفراهي في الوحدة الموضوعية لسورة البقرة.

أهداف البحث

- 1) التعريف بجهود الفراهي التأصيلية في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية؟
- 2) بيان الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، ومدى انسجامها مع أصول منهجه.
- 3) بيان البعث الحضاري الذي هو مدار الوحدة الموضوعية لسورة البقرة عند الفراهي

أهمية البحث

- الإسهام في رفق وتعزير الدراسات القرآنية المتخصصة في التفسير الموضوعي بالأصول النظرية المستلهمة من مناهج أئمة التفسير الموضوعي السابقين والمعاصرين.
- المشاركة في إنارة الطريق للباحثين لمواصلة الجهود العلمية المدروسة في استكمال إظهار ملامح التفسير الموضوعي.

⁹ انظر: المرجع السابق، ص 227.

- محاولة استدراك الخطوة التي أغفلتها المجامع العلمية ذات الاهتمام بالتفسير الموضوعي والناشئة عن عدم الالتفات لجهود وتراث أئمة التفسير الموضوعي الكبار.

منهج البحث

اعتمد البحث المناهج العلمية الآتية:

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل منهج الفراهي في تفسير سورة البقرة.
المنهج الاستنباطي: وتم استعماله فيما يتعلق بتأصيل الفراهي للوحدة الموضوعية، وفي استنباط البعث الحضاري عند الفراهي في تفسير سورة البقرة.
المنهج النقدي: وذلك بتفنيد الدعوى القائلة بخروج الوحدة الموضوعية من التفسير الموضوعي، ودعوى عدم تطبيق الفراهي لمنهجه في تفسيره.

الدراسات السابقة:

أولاً: دراسة بن عبد الله، الشيخ الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسة القرآنية⁽¹⁰⁾.

تعرض فيها لسيرة الفراهي، والتعريف بمؤلفاته وآثاره العلمية في حقل الدراسات، ومن أهم نتائج الدراسة أن مؤلفات الفراهي امتيازت بالجدة، وامتياز أسلوبه بالرصانة، والجمع بين الإتقان والضبط، والتدبر العميق، وقوته النقدية. ويختلف هذا البحث بالدراسة التحليلية لسورة البقرة عند الفراهي التي أثبتت اكتمال المنهج تأصيلاً وتطبيقاً عند الفراهي.

ثانياً: دراسة الأعظمي، مكانة الفراهي بين المفسرين¹¹.

¹⁰ عبد الله، محمد فريد راوي، الشيخ الفراهي حياته وجهوده في مجال الدراسات القرآنية، JSASS VOL. 2 (2015) BIL. 2 ص 212-231.

¹¹ الأعظمي، معين، مكانة الفراهي بين المفسرين، مجلة الهند، المجلد 9، العدد 4، أكتوبر - ديسمبر، 2020م، ص 134-153.

أفرد فيها المفسرين الذين عنوا بالنظم في تفاسيرهم ممن سبق الفراهي ومن عاصره ومن جاء بعده، وبيّن منازل هؤلاء المفسرين وإسهاماتهم في جانب النظم، وخلص الباحث في دراسته إلى انفراد الفراهي بوضعه أصولاً من شأنها أن توصل كل واحد إلى المعنى القطعي المراد، وعده بهذا أول مفسر سد الفراغ في تفسير القرآن من هذه الزاوية، وعالج المشكلات التي يواجهها المفسر. ورأى أن تفسير نظام القرآن نقطة تحول في الدراسات القرآنية لأنه أول بحث علمي منظم، ولأنه جعله فناً مستقلاً برأسه، ووضع له الأصول الواضحة المعالم. فالفراهي بحسب رأي الأعظمي هو الذي حول فكرة النظم إلى علم واضح مميز المعالم، وإن كانت الفكرة قديمة. ويتفق هذا البحث مع ما وصلت إليه دراسة الأعظمي، ويختلف عنها بالدراسة التحليلية لسورة البقرة التي أثبتت صحة القول باكتمال المنهج عند الفراهي.

المبحث التمهيدي: التعريف بالفراهي¹²:

اسمه: هو الإمام العلامة ترجمان القرآن عبد الحميد بن عبد الكريم، الفراهي. نسبة إلى قريته "فريها"، تقع في الإقليم الشمالي في الهند.

مولده: ولد في جمادى الآخرة سنة 1280هـ، في أسرة كريمة تعد من أعيان المنطقة ووجهائها، فنشأ وترعرع في رخاء ورفاهية.

نشأته العلمية:

حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين. وتعلم العلوم النقلية والعقلية، وبرع فيهما، فكان إماماً، ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلّم اللغة العبرانية. درس علوم الغرب وآدابه في اللغة الإنجليزية. كما درس الفلسفة الحديثة ونال فيها درجة الامتياز مع اهتمامه بالعلوم العصرية الأخرى. لكن العلم الذي غلب عليه هو علم القرآن الذي بلغ فيه إلى منزلة تتقاصر دونها المهم.

¹² انظر: الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)، تحقيق وشرح: محمد أجمل أيوب الإصلاح، (بيروت، دارالغرب الإسلامي، 2002م)، ص 13-41.

عرف بفرط الذكاء ونفاذ البصر وسرعة الإدراك ودقة الاستنباط. وكان مجدداً في علوم كثيرة، منها علوم القرآن، والبلاغة، والأصول، وغيرها. وكان قرناؤه وتلامذته يشبهونه بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سعة علمه وقوة نقده وردوده، وفي تبحره في علوم القرآن. وأجمع معاصروه على ورعه وزهده في الدنيا، وقصده في العيش، وعزوفه عن السمعة، وحسن تعبده، مع جود وغنى نفس وتواضع.

أعماله ومؤلفاته:

اشتغل بالتدريس ثم عين عميداً لدار العلوم، وكان أحد المؤسسين للجامعة العثمانية بحيدر آباد، ثم استقال من منصبه، وعاد إلى وطنه، وتولى إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة (سراي مير). وقد وضع للمدرسة فكرتها التعليمية، ورسم لها منهاجاً دراسياً فريداً يختلف عن مناهج المدارس الدينية الأخرى في نظامها، ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها. ووقف في آخر عمره جزءاً كبيراً من وقته وجهده على خدمة هذه المدرسة.

أما مؤلفاته فقد بلغت الواحد والخمسين مصنفاً مطبوعاً ومخطوطاً. طبع منها 20 مصنفاً، ومن أهمها:

- نظام القرآن وهو التفسير الذي ضم عدة سور، كان آخرها سورة البقرة.
- ودلائل النظام.
- مفردات القرآن.
- جمهرة البلاغة.

وفاته: توفي يوم 19 جمادى الثاني 1349هـ الموافق لـ 11 نوفمبر 1930م عليه

رحمة الله.

2- جهود الفراهي التأصيلية في التفسير الموضوعي

2.1- الكتابة التأصيلية للتفسير الموضوعي

للفراهي اهتمام بالغ بالتأصيل المنهجي للتفسير الموضوعي أو ما يسميه بنظام القرآن، وينفرد الفراهي بين كل أئمة التفسير بتقديم منظومة كاملة وفق خطة محكمة مدروسة تكونت من اثني عشر كتاباً¹³ خدم بها التفسير الموضوعي أجل خدمة. وقد جاءت هذه الكتب خصوصاً الخمسة الأولى كأدوات مكمّنة لمعرفة النظام، في تأصيل متدرج ومنظم وشامل للنظام، وقد تجلّت في تطبيقه لها على بعض سور القرآن الكريم.

ويظهر من خلال استعراض كتبه في هذا الشأن أنه كان حريصاً على هدفين معا في وقت واحد:

الهدف الأول: ضبط منهج التفسير الموضوعي تأصيلاً.

الهدف الثاني: تكوين علماء التفسير الموضوعي من خلال هذا المنهج.

فأما الهدف الأول: فإن كل من يطلع على ما كتبه الإمام الفراهي يجد في كتاباته قوة النظر والضبط، والجدة والطرافة، والعمق والشمول، ومن هنا جاءت كتبه في ما يتعلق بالتفسير الموضوعي متماسكة ومتكاملة ومضبوطة أحسن ضبط. لكن موت الفراهي حال دون استيفائها.

وأما الهدف الثاني: وهو تمكين العلماء من المنهج، فإنه مما تفرّد به الفراهي بين علماء التفسير، وقدوته في ذلك عبد القاهر الجرجاني الذي كان حريصاً مع إعطائه للمعرفة أن يعطي المنهج الذي أوصله إلى تلك المعرفة، ولهذا فإن الفراهي صرح بهذا الهدف في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله عن كتاب التكميل في أصول التأويل: "ليست الغاية من هذا الكتاب محض بيان الأصول التي اتخذتها للتأويل، بل الغرض أن تدل على ما يهتدي به أهل العلم في التفكير فيبلغون من المعاني والحكم ما لم نذكرها"¹⁴.

¹³ خمسة منها في فهم ظاهر القرآن وهي: مفردات القرآن، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل، ودلائل النظام، وتاريخ القرآن، وسبعة في علون القرآن وهي: حكمة القرآن، وحجج القرآن، والقائد إلى عيون العقائد، والرائع في أصول الشرائع، وإحكام الأصول بأحكام الرسول، وأسباب النزول، والراسخ في الناسخ والمنسوخ.

¹⁴ الفراهي، عبد الحميد، التكميل في أصول التأويل، جمع: بدر الدين الإصلاحي، تحقيق وتخريج: محمد سميع مفتي، بدون، ص 23.

المهم عند الفراهي هو استقامة المنهج وسلامته من العثرات لتكون النتائج بعد ذلك مقبولة، ولها وجاهتها، ولهذا نجد اهتمامه البالغ بالتصنيف في منهج التفسير الموضوعي تأصيلاً بالدرجة الأولى، وتطبيقاً بالدرجة الثانية، وهو أمر لم يعرف عن أحد من علماء التفسير الموضوعي كما عرف عنه.

وقد تمثلت الأدوات الممكنة لمعرفة النظام والضابطة له من ورود الخطأ فيه في جملة من العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم. وفي ذلك يقول: "الكتب المتعلقة بلسان العرب من حيث دلالاته على معانيه ثلاثة: كتاب المفردات، وكتاب الأساليب، كتاب أصول التأويل.

ففي كتاب المفردات يبحث الألفاظ المفردة، ويكشف عن معانيها عن الخاصة، بحيث أن تتضح لها الحدود، واللوازم، وما يتصل بها، وما يفترقعنها، وما يشابهها، وما يضادها؛ فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة.

وفي كتاب الأساليب يبحث عن دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليها الأساليب المتنوعة، فيحيط العلم بما يدل عليه الكلام من المعاني حتى يحفظ عما لا دلالة له عليه.

وفي كتاب أصول التأويل يبيّن عما يؤخذ من المعاني المختلفة، وما لا يؤخذ، وما يمكن بينها الجمع.

ثم بعد ذلك يستوي السبيل إلى فهم ربط معاني القرآن من نفس القرآن.

ولدفع الظنون التي بنيت على الأوهام الناشئة عن قلة النظر والتأمل في روايات القرآن ومواقع تنزيلها، وضعنا كتابين: تاريخ القرآن، ودلائل النظام. لتطمئن القلوب، وتستعد للنظر في نظم القرآن. ولا حول ولا قوة إلا بالله المستعان. فمن شاء قدم النظر في كتاب التاريخ ودلائل النظام، إن كان لا يرى قلبه مطمئناً بأن كلام الله تعالى منظم على غاية

حسن النظم فهذه خمسة كتب في فهم ظاهر القرآن. وتليها سبعة كتب في علوم القرآن، وأولها كتاب الحكمة¹⁵.

ويتضح مما سبق أنه رصد اثني عشر كتاباً لفهم القرآن وعلومه، خمسة منها في فهم ظاهره، وسبعة في علومه. وإذا كان هذا العدد قد يبدو كبيراً، إلا أن الذي يدعو للإعجاب أكثر وضوح الخطة التأصيلية لعلم النظام في فكر البقاعي وقلبه، وإحاطة تلك الخطة بكل الأبعاد المتعلقة بدراسة القرآن الكريم بمنهج التفسير الموضوعي والجديرة بالتصنيف والكتابة. لكن هذه المؤلفات التي كان ينوي الفراهي استكمال الكتابة فيها – للأسف الشديد – قارب بعضها الاكتمال وهو قليل، وبقي أكثرها في عدد من الورقات سَطَّرَ فيها بعض الأصول المتعلقة بتلك الموضوعات ولم يصل فيها إلى بعض ما كان يرجو من التصنيف.

ومثل هذا الجهد التأصيلي الذي ابتدأه الفراهي جدير بأن يُؤلَّى من المجامع القرآنية الاهتمام والرعاية، ومحاولة إتمامه من قبل علماء الأمة المتخصصين والمتمكنين، وإذا ما تم ذلك فسيكون فيه نفع كبير لدارسي القرآن الكريم، وخير عظيم للأمة. وها هنا تعريف مختصر بأهم هذه الكتب.

الكتاب الأول: مفردات القرآن

لقد سبق أئمة كثيرون الفراهي في التأليف في تفسير ألفاظ القرآن، لكن ذلك لم يقلل من عزمه على الكتابة في هذا الشأن، بل جعل الكتابة في مفردات القرآن أول عمل له في مشروعه القرآني العظيم المشتمل على اثني عشر كتاباً.

وهنا تلخيص لمقصد الكتاب والحاجة إليه من كلامه في مقدمة الكتاب⁽¹⁶⁾:

¹⁵ الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)، تحقيق وشرح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، (بيروت، دارالغرب الإسلامي، 2002م)، ص 90-91. وتقدم في بداية هذا المبحث ذكر أسماء هذه الكتب السبعة.

¹⁶ الفراهي: مفردات القرآن، مرجع سابق، ص 50-51. وهذا التلخيص من صنيع محقق الكتاب: محمد أجمل الإصلاحي.

(1) المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام، وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سد جميع أبوابه.
 (2) ولو كان الضرر عدم الفهم لكان يسيرا، ولكنه أكثر وأفظع. وذلك بأن المرء قلما يقف على جهله، بل يتجاوز موقفه، فيتوهم من اللفظ ضد ما أريد، فيذهب إلى خلاف الجهة المقصودة.

(3) ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا للزوم التوافق بينها.

(4) وربما ترى أن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها، فيتوجه المرء إلى سمت كلما مر فيه بعد عن الفهم.
 (5) وهكذا ترى الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهبا باطلا وأضل به قوما عظيما، وجعل الملة بددا.

(6) معظم القرآن الحكمة، وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الاطلاع على معاني كلماتها المفردة، ودون العلم بصحيح علوم اللسان.

وتجدر الإشارة إلى أن قصور كتب اللغة العربية في التحديد الدقيق لمعاني بعض الكلمات كان سببا مهما وبعثا وراء تأليف الفراهي لكتاب مفردات القرآن¹⁷.

كما أن الفراهي لم يهدف من وراء هذا التأليف في المفردات أن يستوعب الألفاظ القرآنية، ولهذا لم يورد في كتابه " إلا ما يقتضي بيانا وإيضاحا، لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه، فإن الخطأ ربما يقع في نفس معنى فيبعد عن التأويل الصحيح، أو في بعض وجوهه فيغلق باب معرفة النظم. وأما عامة الكلمات فلم نتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به"¹⁸.

¹⁷ الفراهي، مفردات القرآن، مرجع سابق، ص 98-99.

¹⁸ الفراهي: مفردات القرآن، مرجع سابق، ص 93.

الكتاب الثاني: أساليب القرآن

يأتي هذا الكتاب في الترتيب المنهجي بعد كتاب "مفردات القرآن"، فإن البداية تكون بضبط فهم المفردة القرآنية ثم يعقب ذلك فهم أسلوب القرآن.

فبعد أن يفرغ القارئ من معرفة الألفاظ المفردة يترقى إلى معرفة الجمل والتراكيب، فهنا يأتي دور "أساليب القرآن" لسلط الضوء الباهر على الطرق الموجهة لفهم دلالة التراكيب المختلفة الوجوه التي تدل عليها الأساليب المختلفة¹⁹.

و"أساليب القرآن" هو كتاب وضعه الإمام الفراهي مستدركا على أئمة علماء المعاني أنهم قصروا النظر على صورة الكلام حسب القواعد النحوية، وزعموا أن إعجاز القرآن ليس إلا من هذه الجهة، على أن في القرآن كثيرا من الأساليب التي يخالف صريحا قواعدهم النحوية. وبهذا فإن علم المعاني ليس بوسعه أن يقيم الوزن القسط في فهم براعة القرآن ونظمه المعجز، فلذلك وجب على المشتغلين بتفسير القرآن أن يتعمقوا في دراسة أساليب القرآن ويبحثوا عنها لكشف القناع عن وجهها، فإن المجال فيه واسع والحاجة إليه شديدة²⁰.

والمقصود من هذا الكتاب إحاطة العلم حتى الوسع بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها. فإن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه، يفتح بابا عظيما لسوء التأويل. مثلا قالوا: إن كلمة "لا" ربما تأتي زائدة. فإهمال هذا القول أقرب إلى الضرر منه إلى النفع، فإنه يجعل النفي إثباتا. فلا بد أن نعلم مواقع الأساليب، فنستدل على معانيها ولا نخولها عن مواضعها الخاصة²¹.

الكتاب الثالث: التكميل في أصول التأويل

¹⁹ الفراهي، عبد الحميد، رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، (الهند، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، 1991م)، ص 146-167. من مقدمة الدائرة الحميدية، وهي الراعية لطبع الكتاب.

²⁰ المرجع السابق، من كلام جامع الكتاب بدر الدين الإصلاحي. بتصرف.

²¹ الفراهي، عبد الحميد، رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، المجموعة الأولى، مرجع سابق، ص 155.

وهو كتاب أفرده الفراهي " لتمهيد أصول راسخة لتأويل القرآن إلى صحيح معناه، وهو علم مستقل عظيم المحل في التفسير، فإنه يدل على المعنى المراد من كتاب الله، فإن قواعد التأويل تجري في كل كلام، ولكن النفع الأعظم منه فهم كتاب الله ومعرفة محاسنه للاعتصام بما هدى الله النفوس به إلى غاية كمالها"²².

وغاية الكتاب هي معرفة الأصول التي تعين على فهم القرآن حسب أفهام البشر. وهذه الأصول تنقسم على قسمين: الأول ما يعصم عن الزيغ في التأويل. والثاني ما يهدي إلى الحكم التي يتضمنها كتاب الله. والأمر الجامع لهذين هو التفكير في نظم القرآن. فالنظم هو الحبل المتين الذي يعصم من يعتصم به عن الزيغ وهو السراج المنير الذي يدل على الحكم فإن الآيات إنما تنتظم بما تتضمن من الحكمة فإذا هي الجامعة²³.

ويبين أيضا غاية الأصول من جهة أخرى فيقول في إفاداته في الكتاب: الغاية لأصول التأويل اثنتان: الأولى: لكي يطمئن القلب به. والثانية: ليسد أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة. والغايتان واحدة. ثم هي كثيرة الفوائد²⁴.

وقد قرر الأصول التي تهدي إلى معنى واحد، ثم قسم أصول التأويل إلى قسمين: أولية ومرحجة.

الكتاب الرابع: دلائل النظام²⁵:

هذا الكتاب صغير الحجم، عظيم الشأن، جليل الأثر، يحمل في طياته علما من أعظم علوم القرآن. ولا مبالغة إذا قيل إنه كتاب لم يصنف مثله من قبل. قد أفرده لذكر النظام، وما له من المكانة في الكلام، واعتذر للأئمة الذين قالوا بنفي النظام ببيان ما دعاهم

²² الفراهي، عبد الحميد، التكميل في أصول التأويل، مرجع سابق، ص 7.

²³ المرجع السابق، ص 22-23.

²⁴ المرجع السابق، ص 24.

²⁵ الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، جمع: بدر الدين الإصلاحي، بدون، ص 13-18 من مقدمة جامع الكتاب بتصرف.

إلى هذا القول في غاية من التلطف والتوقير وبيان ما غاب عنهم، بل حاملا كلامهم على التنزيه قدر الإمكان.

ثم صرح بعد ذلك بأن القرآن الحكيم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب، وليس فيه شئ من الاقتصاب في آياته ولا في سوره.

ثم أوضح الوسائل التي تهمي إلى معرفة النظام. وأهمها عنده التدبر في القرآن، لأن الله تعالى قد جعله محلا للتدبر والتفكر. فالتدبر في آياته هو أول إقليد لفتح هذا الباب. وأساسه الإيمان الصادق بالآخرة.

ثم مهد السبيل إلى طريق استنباط علم النظام وأصوله. وقد أسس لهذا العلم أصول راسخة، واستخرج له فروعاً جامعة، ثم صاغه في قالب الفن المستقل، وسماه علم النظام.

2.2- أهم إضافات الفراهي في أدوات التفسير الموضوعي

عمود السورة:

قدم الفراهي للعمود تعريفاً واضحاً، وحدد بعض القواعد المفيدة في تعيينه واكتشافه، ثم حدد عمود كل سورة من سور القرآن الكريم.

وقد فرق الفراهي بين العمود والنظام (وهو المساوي عند البقاعي للمقصود)، وجعل العمود كاشفاً للنظام ودالاً عليه.

فالعمود: هو جماع مطالب الخطاب. فإليه مجرى الكلام وهو المحصول والمقصود منه. فليس من أجزائه الترتيبية ولكنه يسري فيه كالروح والسر، والكلام شرحة وتفصيله، وإنتاجه وتعليقه. وربما يحسن إخفاؤه. فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه²⁶.

كما أن عمود الكلام ليس إلا الأمور الكلية التي لا تتعلق بوقت أو زمان⁽²⁷⁾ وهذا يعني أنها الحقائق المطلقة. وهو كالحد المنطقي، لا يطلع عليه بالصحة إلا بعد رجوع النظر في

²⁶ الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، مرجع سابق، ص 85.

²⁷ المرجع السابق، ص 74.

النظم وعلم روابط الجملات وإحاطة المطالب جملة. ثم إن وجدت العمود المفروض، أوفق بالنظم وأقرب إلى زيادة التوضيح وحسن التنظيم، فقد أصبت وإلا فلا بد من طلب عمود آخر²⁸.

والعمود هو ما يطلب²⁹، وهو ما يعطيك الوجدانية في السورة والمناسبة بما سبق وبما لحق إما متصلاً أو بواسطة³⁰.

ويحدد الفراهي الأمور التي تعين على اكتشاف عمود السورة، وهي: "شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح كفلق الصبح، فيضيء به السورة كلها. ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص. ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"³¹.

المعالم:

هذه الأداة الكاشفة لنظام السورة على أهميتها القصوى لم يجد الباحثون أحداً ذكرها قبل الفراهي، فهي من إضافاته الفريدة. والمعالم هي الإشارات الأولى الهادية لنظام السورة.

قال الفراهي: لا يخفى على أهل النظر والتمييز أن آيات السورة ليست كلها متساوية في الأهمية، فإنك ترى بعضها ترتفع من بين أطرافها. وذلك هو الأنسب من جهة الحسن ومن جهة التعليم. وهذا التفاوت كما هو ظاهر من جهة النظر فكذلك قد صرح به النبي حيث دل على مزية بعض الآيات.³²

²⁸ المرجع السابق، ص 85. في الحاشية.

²⁹ المرجع السابق، ص 65.

³⁰ المرجع السابق، ص 94.

³¹ المرجع السابق، ص 89.

³² الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، مرجع سابق، ص 92.

وإذ كان الأمر كذلك، فلا بد من النظر الخاص إلى هذه الآيات، فيعتنى بتوضيح محاسنها ومطالبها، وبالذالة على أعيانها، لكيلا يمحوا بها صما وعمياناً³³.

وقد ضرب لذلك أمثلة بقوله: انظر إلى سورة الحديد لا يمكنك الإغماض عن رفيع منزلة هذه الآيات: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] وغيرها من الآيات.

ويرى أنه "إذا صرف التوجه لاستخراج العمود والنظام، لزم إمعان النظر في دلالة الكلمات والسياق، وحينئذ ترتفع مواضع آخر، فتكون من معالم السورة من جهة أخرى"³⁴.

فهذه إشارة صريحة منه إلى أن المعالم تشمل الكلمة التي تنفرد بها السورة، والسياق، والآية. فهذه أنواع ثلاثة للمعالم.

كما يرى أن النظر إلى معالم السور من المهمات، وربما يعين على استخراج العمود³⁵. وقد جعل للمعالم صفة تميزها، كونها تستدعي التوجه في أول النظر كأنها نار على يفاع، فلا يسوغ التغافل عنها³⁶.

كما بين أن الدوائر المتعلقة بورود هذا المعالم عصرية على الحصر بقوله: ولا جامع لهذه المعالم، فإنها تجلب الالتفات من جهات مختلفة: فبعضها من جهة اللغة، وبعضها من جهة الإعراب، وبعضها من جهة البلاغة، وبعضها من جهة التاريخ، وبعضها من جهة الفقه، وبعضها من جهة الحكمة، وهلم جرا³⁷.

33 المرجع السابق، ص 92

34 المرجع السابق، ص 94.

35 المرجع السابق، ص 93.

36 المرجع السابق، ص 93.

37 الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، مرجع سابق، ص 93.

ويؤكد الفراهي اشتراك كل سور القرآن في هذه الخاصية، وازدياد هذه الخاصية وكبرها كلما صغرت السورة فيقول: ما من سورة إلا ولها من المعالم يختص بها سواء فيه الصغار والكبار ولا يخفى بعد هذا التنبيه، وكلما صغرت السورة كبرت هذه الخاصة، ولذلك صارت على غاية الأهمية، وأولى بأن ييسط فيها الكلام حتى يتبين موقعها، ويتضح أن الله تعالى لم يجعل القصار سورة مستقلة إلا لحكمة عظيمة. كما ترى ذلك في سورة العصر وسورة الإخلاص وسورة الكوثر، وكذلك حتى ترى الصغار هي الكبار من بعض الوجوه³⁸.

يتبين من هذا الاستعراض أن الفراهي سار في جانب التأصيل للوحدة الموضوعية للسورة في خطة مدروسة محكمة، شاملة ومتدرجة. وأنه قدم قواعد علمية صالحة للبناء عليها والاستنباط. وهذا هو ما يؤكد من الناحية النظرية أن الوحدة الموضوعية للسورة علم، وأن الفراهي هو أول الأئمة من حيث النظر والتفصيل، ووضوح الخطة واكتمالها، وكثرة ما صنف في ذلك. وأن تراثه ما زال بحاجة إلى استجلاء لإعلاء البناء.

3- الوحدة الموضوعية لسورة البقرة عند الفراهي:

تجدر الإشارة إلى أن تفسير سورة البقرة مع كونه مطبوعاً إلا أنه لم يكتب له الانتشار بعد، وهذا هو السبب وراء بعض الأحكام على منهج الفراهي تأصيلاً وتطبيقاً التي قررها بعض الباحثين واتسمت بعدم الإنصاف خصوصاً فيما يتعلق منها في جانب التطبيق.

وقد تقدم في أول البحث أن الدغامين مع إشادته بمنهج الفراهي من ناحية التأصيل والتنظير إلا أنه بسبب عدم اطلاعه على تفسيره لسورة البقرة؛ رأي أنه لم يطبق منهجه عملياً. "لكنه في تفسيره لم يطبق هذه النظرية، وفي تعيينه لعمود السورة، أو الوحدة الموضوعية فيها لم يكن يصدر عن منهجه الذي وضعه، ففي موضوع سورة البقرة ذكر أنها سورة الإيمان المطلوب، وهو الإيمان ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام، فجمعت دلالتها"³⁹.

38 المرجع السابق، ص 94.

39 انظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص 225.

ثم يذهب إلى حكم أقصى من الأول فيقرر: " إن الفراهي لم يقف في تفسيره للسورة مع كل آية أو جملة أو كلمة من كلماتها، ولكنه وقف في السورة وقفات حاول أن يوضح من خلالها وحدة الموضوع الذي قرره في مطلع حديثه في بداية السورة، هذا الموضوع قد تقرر سريعا دون الوقوف على مناسبة كل آية لما تقدمها، أو لما لحق بها من آيات"⁴⁰.

يستعرض هذا المبحث صنيع الفراهي في تحديد للوحدة الموضوعية لسورة البقرة ليجد منهجه غاية في الضبط، وغاية في العجب على حد سواء. وفيه يتجلى منهج الفراهي في أبحر صوره، وهذا الكتاب هو من أواخر ما صنف، وفيه وضع خلاصة منهجه في التفسير الموضوعي وعصارة خبرته، ومن يطالع كتابه هذا بعناية يستطيع الخروج بحقيقة سبق الفراهي في هذا الشأن للإثمة كلهم قديما وحديثا، وهو ما سيدلل عليه الباحثون في هذا المبحث والذي يليه.

3.1- منهج الفراهي في تفسير سورة البقرة وعلاقته بالتفسير الموضوعي:

ففي الصفحة الأولى من كتابه، يبين منهجه في التفسير قائلا⁽⁴¹⁾:

عنوانات التفسير سبعة:

- | | | |
|--------------|-------------|------------|
| (1) المقدمة. | (2) الكلم. | (3) النحو. |
| (4) البلاغة. | (6) التدبر. | (7) النظم. |
| (5) التأويل. | | |

فأما المقدمة فهي أمور كلية من عمود السورة ومطالبها، ومواقع نزولها، ووجه خطابها، وترتيب أجزائها.

وأما الكلم ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها، والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب.

⁴⁰ انظر: الدغامين، زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص 227.

⁴¹ الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان سورة البقرة، الدائرة الحميدية الهند، 2000م، ص 276- ص 282.

وأما النحو ففي تأليف الكلمة. والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل.

وأما البلاغة ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل.

وأما التأويل ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل. وفي ذلك معظم الاستدلال

بالقرآن وكلام العرب.

وأما التدبر ففي ذكر المبادئ والنتائج، أي اقتضاء النص وإشاراته. والاستدلال فيه

بصريح العقل وكتاب الله.

وأما النظم ففي بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض.

فالعناوين الست التي بعد المقدمة وهي: (الكلم، والنحو، والبلاغة، والتأويل، والتدبر،

والنظم) وما ذكره عن كل واحد منها، تبين للقارئ أنه لا يقف عند معنى الكلمة فحسب

بل يتجاوزها إلى ما هو أكثر من ذلك مما له تعلق بفهم النظم على أكمل صورته. وأمام

كل كلمة من تلك الكلمات الست أبان المنهج، فالنحو مثلاً: في تأليف الكلمة.

والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل. وقس على ذلك.

إن هذه الداسة العميقة والشاملة بدءاً من معنى المفردة وانتهاء برباط الكلام بعضه

ببعض لتدل دلالة عظيمة على منهج محكم متدرج في خطوات متلاحقة يتم به الكشف

عن الوحدة الموضوعية للسورة في كل كلمة وجملة ليصل الأمر إلى آيات السورة ومعاقدها.

وأما المقدمة كما هو واضح من كلامه فإنها مشتملة على ما يبحث فيه التفسير

الموضوعي في السورة القرآنية في الجملة مع إضافة أوجه لا يتطرق إليها من كتبوا في التفسير

الموضوعي وسيشير الباحثون لهذه الأوجه عند استعراض فصول مقدمة الكتاب.

وضع الفراهي فصولاً عشرة في مقدمته لتفسير سورة البقرة:

أولها: في حقيقة السورة ونسبتها بالفاتحة وآل عمران.

وثانيها: في موضوع السورة وغايتها.

وثالثها: في مطابقة الوقائع بهذه الغاية.

ورابعها: في جماع هذه الغاية وهي استخلاص الكعبة.

وخامسها: في مطابقة ذلك (أي الوقائع) لبني إسرائيل.

وسادسها: في أن نقطة هذه الغاية هي الوحدة القائمة في الله.

وسابعها: في المطابقة بين أحوال النبي وهذه الغاية.

وثامنها: مطابقة السورة بزمان نزولها.

وتاسعها: في مطابقة السورة بأحوال المخاطبين.

وعاشرها: في النظر الإجمالي في أجزاء السورة ونظام هذه الأجزاء.

ففي الفصل الأول يبين موقع سورة البقرة من القرآن الكريم، وهذا نظر موضوعي لأنه يبين مكانة السورة في القرآن، لكن الأمر مع الفراهي يغدو أبعد لأنه يعرض ذلك في عدة سياقات، سياق المقارنة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة، وفيه يبين موضوع السورة.

يقول الفراهي: " سورة البقرة وجه القرآن كما أن الفاتحة غرته، وهذه إكليله كما تلك درته. فإن هذه السورة تجلى أساير هذه البعثة وأسرارها، وقبلة هذه الملة وسره دارها، ثم تمهدى إلى أس الديانة ومحورها ومخ الشريعة وجوهرها. وبعبارة أخرى هي تمام النبوة وكما لها، كما تمنى إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه فقال: ربنا وابعث فيهم. . . فأجابه حسب هذا الدعاء وبعث رسولا متصفا بتلك الصفات الأربع، وجعل هذه السورة مرآة له ولأمة مسلمة دعا لها إبراهيم عليه السلام، وجعل الإيمان به حقيقة الإيمان، فإن المراد بالإيمان هو الإيمان بالنبوة، فإن ذلك هو جماع الإيمان وصحته، كما هو مبسوط في محله. فهي تحقيق الإيمان الذي هو أول فرع الإيمان الفطري المبني على الحمد والشكر والإنابة.

وبالجملته فهي تفسير لفاتحة الكتاب، وبيان لكلمة التوحيد، وشرح للصرط المستقيم، وإجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام. ولما كانت سورة الفاتحة جامعة لمطالب القرآن على غاية

الإعجاز والإحكام، وتمهيدا للكتاب بتمامه، أتبعها سورة تفصيل تلك المطالب، فإن التفصيل بعد الإجمال هو المرعي في القرآن⁴².

وفي ما ذكره هنا يتبين موقعها في أول الكتاب بعد الفاتحة كما يبين موقعها قبل سورة آل عمران⁴³، وهو بهذا يقرأ موقع سورة البقرة بين سابقتها ولاحقتها كما يقرأ وحدة سورة البقرة بين السورتين، بمعنى أنه يقرأ في سياق الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم أيضا. وهذا أحد أصول دراسة الوحدة الموضوعية.

ثم بين ما اشتملت عليه مطالبها عليه مما يدل أن السورة جامع لمطالب الكتاب كله. "فأما كون هذه السورة جامعة مفصلة لمطالب الكتاب، فلأنها تشتمل على:

- 1) حقيقة الإيمان وأصول أدلة التوحيد والنبوة والمعاد.
- 2) وعلى تفاصيل العقائد وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وبصفاته تعالى من العلم والقدرة والعدل والحكمة والرحمة والربوبية.
- 3) وعلى أصول العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج.
- 4) وعلى أصول السياسة من الخلافة والجهاد والسمع والطاعة وحفظ النفوس والأموال.
- 5) وعلى أصول التمدن من حقوق النساء واليتامى، والبيع والتدائن.
- 6) وعلى أصول الآداب من المداراة والفضل والتعفف، واجتناب الأرجاس من الخمر والميسر وغيرها⁴⁴.

وفي الفصل الثاني من المقدمة يعيد الفراهي صياغة عمود السورة ويسجل تفاصيل دقيقة يؤكد بها إثبات الوحدة الموضوعية التي ذهب إليها من خلال قرائن متضافرة، وهو أمر لا يجده الباحث عن غير الفراهي، فيقول: "فإن شئت أن نعبر عن عمودها بكلمة واحدة قلنا إنها إنجاز لعهد الله تعالى بخليله إبراهيم عليه السلام. وهذا العهد هو الجامع لحقيقة هذا

42 لفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 29.

43 انظر: المرجع السابق، ص 30.

44 الفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 30.

الدين، فإن الخليل عليه السلام أقام ذريته في مركز التوحيد ودعا الله أن يبعث فيه نبيا وأمته على أكمل صفات الأنبياء والأمة، ووعد الله أنه يبارك به وبهم جميع الأرض. فأنجز ما وعد له ببعثة هذا النبي وأمته، وجعل بناء هذا الأمر على الصبر والصلاة - وهما قاعدتان للدين الإلهي، و بهما كمل إبراهيم عليه السلام وصار إماما.

وعند كمال ظهور هاتين الصفتين نزلت هذه السورة، فكانت مظهرا لحقيقة هذه البعثة. ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم سنام القرآن، كما مر. وعند نزولها أظهر الله تعالى إنشاء أمة جديدة، وجعل صرف القبلة آية على ذلك وفرقانا لهم، ومن أي جهة نظرت إلى هذه البعثة وجدت التوحيد أصلها، ووجدت المسجد الحرام مركزها، ووجدت القرآن مطابقا بهذا الأصل.⁴⁵

ثم يقيم الفراهي الأدلة على صحة ما رآه في الوحدة الموضوعية من أوجه عدة، كل واحد منها يمثل برهانا مستقلا على الوحدة التي رآها في السورة، وهو ما يزيد من إثبات صحة الوحدة الموضوعية التي حددها، والجامع بين تلك الأدلة كلها أنها مطابقات مع تلك الوحدة الموضوعية، فيبدأ بالنظر في مطابقة الوقائع بغاية البعثة⁴⁶، ويخرج من ذلك بأن جماع هذه الغاية استخلاص الكعبة⁴⁷، ليجد في ذلك مطابقة بما وقع لبني إسرائيل⁴⁸. ثم يجد نقطة هذه الغاية وهي الوحدة القائمة في الله⁴⁹، ثم يعقد المطابقة بين أحوال النبي وهذه الغاية⁽⁵⁰⁾، ثم مطابقة السورة بزمان نزولها⁵¹، ثم مطابقة السورة بأحوال المخاطبين⁵².

45 المرجع السابق، ص 31-32.

46 المرجع السابق، ص 36-37.

47 المرجع السابق، ص 37-39.

48 الفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 39-41.

49 المرجع السابق، ص 41-42.

50 المرجع السابق، ص 43-44.

51 المرجع السابق، ص 44-45.

52 المرجع السابق، ص 45-46.

وكلها زوايا متعددة، لكنها تؤكد في الوقت ذاته صحة الوحدة الموضوعية للسورة، فقد نظر الفراهي في الجانب التاريخي سواء لحياة النبي عليه الصلاة والسلام، والجانب التاريخي لبني إسرائيل ليصل من خلالهما إلى ذلك التطابق بين وقائع التاريخين وجو سورة البقرة، ثم يقدم في مطابقة السورة بزمان نزولها ما يؤكد أنه بالهجرة صار النبي وصحابته حزب الله واستحقوا بذلك وراثته البيت الحرام، وهو يتطابق مع أن جماع غاية بعثة النبي هي استخلاص الكعبة. وهكذا كل ما بقي من تلك المطابقات التي أوردتها.

وقد وقع الاختيار على مطابقة واحدة، كمثال لما لم يمكن إثباته من كلام الفراهي في المطابقات المختلفة، وهي مطابقة السورة بأحوال المخاطبين وفيها يقول: "اعلم أن في هذه السورة خطابا بالرسول، وبالْمُؤْمِنِينَ، وبأهل الكتاب أي اليهود، وبكافة الناس.

(1) أما إلى النبي، فمن جهة تسليته على ترك من أصر على الإنكار حتى هاجرهم لزمان، ومن جهة إقامته معلما لمن آمن بالله وكتبه.

(2) وأما إلى المسلمين، فمن جهة أن الله تعالى أقامهم أمة جديدة مستقلة ليكونوا شهداء الله على الناس، ويحملوا أمانة الشريعة ويكملوا فيها حتى يكونوا أسوة لمن يلحق بهم.

(3) وأما إلى أهل الكتاب، فمن جهة أنهم لم يبق فيهم مطعم للقيام بعهد الرب، فتركوا وسلبوا أمانة الشريعة، ولكن بقي لهم أن يوفوا بالعهد الثاني وهو الإيمان بهذا التي حتى يرحمهم الرب مرة أخرى، كما جاء كثيرة في التوراة، وصرح به في سورة الأعراف.

(4) وأما إلى كافة الناس، فمن جهة دعوتهم إلى التوحيد الذي هو أصل الديانة، وإلى السلم والتقوى والطاعة لربهم المنعم الرحمن الرحيم، وذلك جماع السعادات. والترتيب في هذه الخطابات حسب مقتضى نظم الكلام، وإنما ذكرنا حسب ترتيب الدرجات.

وفي هذه المطابقة يظهر جليا أن الوحدة الموضوعية التي رآها الفراهي في السورة هي منطلق النظر في تحديد الجهات الواردة للمخاطبين، ومن خلالها جميعا تكتمل الصورة

لوحة السورة، فسورة البقرة دعوة للناس كلهم إلى الدين الحق، الذي تخلى عنه بنو إسرائيل، وبقي لهم منه أن يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام لينالوا رحمة الله، وهذا الدين الحق هو الذي أقام الله به أمة الإسلام وأكرمها بمقام الشهادة على الناس ووعدها بالتمكين في الأرض. والنبى عليه الصلاة والسلام هو الإمام المعلم القدوة لهذه الأمة.

2.3- النظر الإجمالي في أجزاء السورة ونظام هذه الأجزاء

نورد هنا نص كلام الفراهي دون تعقيب لدقته ووضوحه وأهميته: "اعلم أن هذه السورة جملة واحدة متصلة منظمة بعضها ببعض على غاية حسن النظام، كما سيتضح لك من تفسيرها. ولكنها مع ذلك مرتبة على ستة أجزاء: مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة. أما المقدمة، فهي جملة الكلام في إثبات القرآن والنبوة وما يتعلق بها، وذلك حقيقة الإيمان، فالإيمان عبارة عن الإيمان بهذا الكتاب الذي يتضمن الإيمان بسائر الكتب، والنبوات، وبما أمر الله ونهى عنه، وبأصول العقائد وصحاحها.

وأما الأبواب، فجاءت بالترتيب حسبما جاء نعت النبى صلى الله عليه وسلم في دعوة إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة، كما قال الله تعالى حكاية عن ذلك الدعاء: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]، وقال في إنجاز دعائه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151].

ففي دعا إبراهيم عليه السلام آخر التركيبة لكونها غاية، وفي إنجاز ذلك قدمها، لنعلم أن هذا النبي جعلها أول أمره وأتمها، وإنما تتم بعد العلم والعمل. وفي ذلك إشارة إلى أن هذا النبي هو آخر الأنبياء، فإنه يفعل ما هو كمال سعادة النفس، ثم تقديم التركيبة في الإنجاز تشير إلى أن هذا النبي هو النبي الذي دعا له إبراهيم عليه السلام، فإنه جعل غاية ما في دعائه أول أمره وأصل قصده، فبدأ به. ثم جعل يعلمهم الكتاب والحكمة ليتم التركيبة.

وكما أن التركيبة لها بداية ونهاية واتصال بتلاوة الآيات، فكذلك الحكمة لها بداية ونهاية تبدأ ببداية التركيبة وتتم بتمامها.

- 1) فتلاوة الآيات تمهيد لما ينبع من التركيبة والتعليم.
- 2) وتعليم أصول الدين خطوة أولى للتركيبة.
- 3) وتعليم الأحكام هو الخطوة الثانية لها.
- 4) وتعليم الحكمة هو الخطوة الثالثة لها، وبه تمام التركيبة التي تحصل بالعلم والعمل في هذه الحياة.

فبحسب مناسبة هذه الأمور الأربع جعل ترتيب الأبواب الأربع.

فالباب الأول في تلاوة الآيات البينة والدلائل الواضحة على إثبات هذه الرسالة الموعود بها في الكتب السابقة حسب وصفه الأول، وهو قوله تعالى: "يتلوا عليهم آياته". والباب الثاني في بداية التركيبة، وهي الذكر والشكر، والصبر، والتوكل والتوحيد، والتفكير، والإيمان، والأمانة، والبر والتقوى، وذلك حسب وصفه الثانية وهو قوله تعالى: "ويذكهم".

والباب الثالث فيما كتب الله عليهم من السياسة العادلة، والشرائع المطهرة، والآداب النقية التي تعين على الحكمة من جهتيها النظرية والعملية. وذلك حسب وصفه الثالث، وهو قوله تعالى: "ويعلمهم الكتاب" أي الشرائع.

والباب الرابع في تحصيل الحكمة التي تحصل بإكمال الطاعة، وهي الخروج الكلي عن سلطان الشهوات ببذل النفس والمال، ورعاية المواساة، والرفق في المعاملات. وحينئذ تنجلي عن النفس كل غشاوة و تتركى عن كل رجس، فتدخل حظيرة القدس وتطمئن في حرم الأُنس، فتحي حياة عليا. وهل هي إلا الجريان بما يرضى به الرب تعالى حتى تخلص النفس عن أسر الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۗ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

فالأمة تحيا بإسلامها لربها وبذل النفوس والأموال قرابين الله، فيبارك الله لها فيما أسلمت حسب سنة الله. فيعطيها النور البازغ والزكاة التامة والنصر والملك ليبارك بهم الأمم. هذا هو الوصف الرابع أعني تعليم الحكمة وتحقيق التزكية الثانية التالية للحكمة التي هي النعمة الكبرى والكنز الذي لا يفنى، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269]. وحينئذ تتم النعمة، ويكمل السلوك في الدنيا حسب استعداد هذه الفطرة، ثم تتم هذه التزكية في الآخرة بنظر الله تعالى إليهم.

ومطابقة هذه أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم بنظم هذه السورة تدل على المطابقة بين النبي ووحيه. وإلى ذلك يشير قول عائشة و عنها: " فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن "؛ فإن المعلم يرى في تعليمه.

فهذه السورة كأنها مرآة صفات النبي صلى الله عليه وسلم، ومرآة لتمام القرآن، لما جمعت أمور الرسالة كلها، وأولى السور بالفاتحة، كما مر في الفصل الأول. فهذا بيان الأبواب الأربع.

وأما الخاتمة فهي جامعة لما سبق من الاعتقاد وعيون الشرائع والثبات عليها وبذل النفوس للدفاع عنها. وفيها الدعاء للنصر والمغفرة كالنتيجة لهذا كله.

فالآن تبين أن نظم المطالب على غاية السداد وصحة الترتيب، فإنك ترى السابق منها وسيلة إلى اللاحق. فإن الأدلة وسيلة إلى الإيمان، والإيمان يؤدي إلى الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة تتم بالحكمة، وبهما تتم التزكية التي هي كمال النفس وفلاحها بإكمال طرفيها: العلمي والعملية.

فهذا نظام السورة من حيث المجموع⁵³.

53 الفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 46-50.

والتأمل في كلام الفراهي يجد أنه استطاع جمع الصورة الكاملة للصورة ثم استطاع نشرها على آيات السورة كما هي في مواقعها، وبذلك أظهر نظامها وأنها على غاية السداد وصحة الترتيب من خلال وحدتها الموضوعية التي حددها.

ونلفت القارئ إلى أن الفراهي بعد ذلك لما سار في تفاصيل تفسيره للآيات سار على خطة محكمة البناء، يبدأ بالكلم ثم بالنحو ثم البلاغة ثم التأويل ثم التدبر ثم النظم؛ وفق منهجه الذي قرره في المقدمة بقوله: "فأما الكلم ففي معنى الكلمة ومادتها وصورتها، والاستدلال فيه بالقرآن وكلام العرب. وأما النحو ففي تأليف الكلمة. والاستدلال فيه بالنظائر وحسن التأويل. وأما البلاغة ففي دلالة الأساليب على معان تناسب المحل. وأما التأويل ففي حمل الكلام على مراده حسب المحل. وفي ذلك معظم الاستدلال بالقرآن وكلام العرب. وأما التدبر ففي ذكر المبادئ والنتائج، أي اقتضاء النص وإشاراته. والاستدلال فيه بصريح العقل وكتاب الله. وأما النظم ففي بيان موقع جملة من الكلام ورباط بعضها ببعض" (54).

فيكون آخر ما يصل إليه ربط جملة الكلام بعضه ببعض، بعد استقصاء في خمسة علوم: المفردات، والنحو، والبلاغة، والتأويل، والتدبر.

فيكون بذلك قد درس كل مفردة، وكل جملة في السورة من زوايا مختلفة لكنها ناظرة في نهاية الأمر إلى وحدته التي رآها في السورة وقررها أفضل تقرير. وبهذا ظهرت تلك النظرات العميقة للفراهي في تحليل آيات السورة في نهاية كتابه.

بهذا يتبين أن الفراهي في تفسيره لسورة البقرة كان يطبق منهجه في إحكام شديد، الأمر الذي مكّنه من إحكام الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، وهذا هو الدليل الثاني على أن الوحدة الموضوعية للسورة في تطبيق الفراهي لمنهج النظري إنما هي علم بكل ما لكلمة "علم" من دلالات.

وبهذا يتحقق هدف البحث في إثبات كون الوحدة الموضوعية للسورة داخلة في مسمى (التفسير الموضوعي) بالأدلة من منهج الفراهي وتطبيقه.

ويفرد الباحث المبحث الثالث للوقوف على أهم النظرات التجديدية للفراهي في تفسيره لسورة البقرة، وهي ما أطلق عليها الباحث بالبعث الحضاري.

4- البعث الحضاري في سورة البقرة:

قدم الفراهي تفسيراً للسورة لم يسبق لغيره الإشارة إلى كثير مما انتبه هو إليه، وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى فضل الله عليه رحمه الله، ثم هو عائد بعد ذلك إلى صحة منهجه وعمقه وشموله، وهو ما يصل بنا إلى تقرير أن الوحدة الموضوعية للسورة عند الفراهي علم محدد المعالم والأوصاف. وقد تقدم في البحث ما يدل على ذلك دلالة قطعية في المبحثين الأول والثاني.

وهنا يرى الباحث أن يتوج هذا البحث بتلك النظرات الثاقبة للإمام الفراهي لكن بعرض مع تعليق يقصر عن تصوير مكامن الجمال والروعة الواردة في لغة الفراهي وفكره. ويعرض الباحث نموذجان تم اختصارهما من الباب الثالث والرابع من أبواب السورة في تفسيره مع تعليق يسير.

النموذج الأول: وهو الباب الثالث في السورة وهو في الشرائع المطهرة [الآيات: 178-242] وهي الشرائع الشخصية.

يقدم الفراهي بين يدي تفصيله لهذا الباب جملة على قلة كلماتها إلا أنها خلاصة من خلاصات كتب التزكية المطولة فيقول: " التزكية هي جماع الشرائع. وقد أعطانا الله في سورة البقرة من الأحكام السياسية والمدنية ما يرفع الخصام، ويؤتي بالسلم، ويطهرنا ويكينا.

وروح التزكية كمال التعبد لله، وهو الرضا به والانخلاع عن هوى النفس. والتزكية تأتي من جهة القلب، كما أن الحكمة تأتي من جهة العقل، ولكنهما متصلان فلا تفارق

إحداهما الأخرى. فإن تنوير العقل وتطهير القلب متلازمان، وقد هدى إليه بقوله: ﴿ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]. وبسطه تحت هذه الكلمة.

والتزكية تكون بالتطهير عن كل رجس ويجعلهم نفساً واحدة. وكما أن للطهارة
شعبتان: الصلاة والصدقة، فكذلك للرجس شعبتان: الغفلة عن ذكر الله والخصام بالعباد.
فإن الطهارة ليست إلا فطام النفس عن الشهوات وحملها على محبة الله والخلق، ولذلك
فرض الصلاة والزكاة⁽⁵⁵⁾.

تفصيل أبواب التزكية: 56

- 1) سد باب أكبر خصامهم، وذلك ثارات العرب. [الآيات: 178-179] في
القصاص] ولذلك سماه الله حياة. فقدم السياسة المدنية على تدير المنزل. ولا
يخفى عليك أن أول السياسية أن يكفوا عن سبل السيوف بينهم، ويذعنوا
لسلطان الحكم والعدل والسلم، وحينئذ يرجعون عن السبعية إلى المدنية. ولم
يسلب المسلمون عزهم إلا بنقض هذا العهد.
- 2) سد باب خصام ينشأ في ميراث بين ذوي القربى، [الآيات: 180-182].
فهذا بعد خصام الدماء، وحث الجماعة على الإصلاح إن خافوا جنفا من
الموصي.
- 3) قمع خصام النفس اللجوج ورفع سلطان الشهوة التي تلقي الشح والشحناء،
وسد أبواب البغي، والخصام، والهوى، والحرص.
- 4) جعلهم أمة واحدة بل نفساً واحدة بالحج وذلك تمام التزكية.
- 5) إبطال حبال الاتحاد الفاسدة وأبواب السماحة الكاذبة من المعاقرة والمقامرة،
وإصلاح علائق المودة من تربية اليتامى والمناكحة.

⁵⁵ الفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 276-277.

⁵⁶ الفراهي، عبد الحميد، تفسير سورة البقرة، مرجع سابق، ص 276-282.

(6) رفع خصام بين المرء وزوجه، الذي يجر إلى الفساد المدني والسياسي. ولذلك لم يجرم المشرع الطلاق ولا ينبغي ولكن سد أبواب الفساد.

الأبعاد الحضارية في الشرائع المطهرة:

يتمثل البعد الحضاري في تشريع القصاص بشكل جلي في قول الفراهي "وحيثما يرجعون عن السبعية إلى المدنية، ولم يسلب المسلمون عزهم إلا بنقض هذا العهد". فكلامه واضح في إثبات النقلة البعيدة والهائلة التي تمت للمجتمع القبلي الذي كان قبل الإسلام من مجتمع متناحر، تثير شهيته للتناحر أتفه الأسباب، إلى مجتمع تكون وظيفته التفاني في الحفاظ على حياة الآخرين ولو أدى ذلك إلى التضحية بحياة الفرد وماله رغبة في التقرب إلى الله.

حفظ حق الآخر في الحياة هو الباب الأول للمدنية لأنه هو باب السلم الاجتماعي الأعظم الذي يحفظ لكل أفراد المجتمع حق الحياة، ويقطع أعظم عدوان يصيب الإنسان من غيره، وهو الاعتداء بالقتل وسفك الدماء الوارد في تخوف الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30].

ويظهر من خلال الربط بين تخوف الملائكة وبدء الأحكام الشرعية بالقصاص أن تخوفهم كان جديرا بالاعتبار، وأن الشريعة قد جعلت له رادعا وزاجرا في كل نفس إنسانية حتى لا يقع ابتداء، فإن وقع الاعتداء جاء القصاص من باب العدل للقاتل ومن باب الردع والزجر لمن وقع أمامهم أو من سمعوا به، ولذلك وغيره قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُولِي آلَاءِ بِي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

لقد اختار الله لعباده شريعة تحرم دماءهم عليهم في الدرجة الأولى وتحمي حياتهم، وتهيؤهم للتعاون والتآزر والتكاتف؛ حتى ينهضوا بواجبهم في خلافة الأرض. كما أن القصاص كان حكما في الشرائع السابقة للإسلام.

والبشرية اليوم تعاني أكثر ما تعاني من الاعتداء على دماء الناس نتيجة ضعف الأمة الإسلامية وبعدها عن مصدر القرار العالمي، فتاريخ البشرية الطويل لم يسجل لغير المسلمين نشر العدالة في الأرض وحماية المستضعفين وإقامة العدل في العالمين.

كما يشير كلام الفراهي أيضا إلى بعد حضاري آخر أبانه قوله: "ولا يخفى عليك أن أول السياسية أن يكفوا عن سل السيوف بينهم، ويزعنوا لسلطان الحكم والعدل والسلام" وهو بعد مراعاة الشريعة لترتيب الأولويات في سياسة الأمة، وهو دليل على رباية هذه الشريعة وشمولها وكما لها.

ومن الدائرة الكبيرة "دائرة المجتمع" إلى الدائرة الصغيرة "دائرة القرابة" لسد باب الخصام الناشئ في الميراث بين ذوي القرى، وفيه يتجلى الحفاظ على أموال الناس بعد الحفاظ على حياتهم، ليكتمل للمجتمع المسلم اطمئنانه وهدوءه، وسكينته العامة، وضمن حصول كل ذي حق على حقه، ويرد في نهاية الحديث عن أحكام الوصية حث الجماعة على الإصلاح في حال خوف الجنف من الموصي، ويتجلى بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كضرورة لحفظ المجتمع المسلم من وقوع الظلم بين أفرادها. إذ يتوجب على الناس في ذلك المجتمع دفع الظلم ونشر العدل قبل أن تصل القضية إلى الحاكم.

ومن الدائرة الخارجية المتمثلة في المجتمع والقرابة في حكمي القصاص والوصية إلى الدائرة الداخلية الخاصة بالإنسان نفسه لإحداث التزكية في روحه بقمع خصام النفس اللجوج ورفع سلطان الشهوة التي تلقي الشح والبعضاء كما يقول الفراهي. إنها رحلة التطهير العميقة في أغوار النفس الإنسانية، رحلة تخليصها من الأنانية والتسامي بها في أفق العبودية لله سبحانه وتعالى، رحلة الإعداد والتهيؤ للبدل والتضحية في سبيل الله تعالى.

ويسجل الفراهي في كلامه أبعادا حضارية رائعة. فالصبر أحد فوائد الصوم هو من أعظم العوامل للوصول للغايات والأهداف. فمقام الإمامة في الدين وهو أعظم المقامات لا يبلغ إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24].

وكل النجاحات في الحياة لا تأتي بعد الاستعانة بالله تعالى إلا بالصبر والمثابرة وبدل الجهد والاستمرار على ذلك. هذا هو الملمح الأول في كلام الفراهي.

والملمح الثاني في قوله: "الصوم تهيؤ للجهاد"، فإنه يشير إلى أن الوسيلة التي بها يقام العدل في الأرض وينشر بين العالمين، وهي الجهاد في سبيل الله؛ تبتدئ في أعماق النفس الإنسانية بالثورة على شحها وطمعها، ثم تهيئتها للبذل والتضحية في ذات الله للتقرب إليه بنشر الخير والعدل بين الناس مهما كلف الأمر.

والملمح الثالث في قوله: "الصوم جالب للنصر والولاء"، ويتجلى بعده الحضاري في أن انتصار الأمة في معركتها مع أعدائها المتربصين بها تبتدأ في انتصار أفرادها في ذوات أنفسهم على دواعي الشح والشحناء بالتسامي بالصوم، فلقد جعل الله عدم التنازع سببا من أسباب نصر الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَعَتَشَلُوا وَتَذَهَبَ رَحْمُكُمُ وَأَصِيرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

والكسب الحلال به يكون إطابة المطعم والمأكل والملبس والمسكن، فكما كان الصوم زكاة وتطهيرا للباطن، كان الكسب الحلال زكاة للظاهر، وبهذا يجتمع للإنسان بهاء المخبر والمظهر. ويكتمل إشراقه وسموه.

ويجمل الفراهي النتيجة النهائية لكل تلك الأحكام بقوله: فسد أبواب البغي، والخصام، والهوى، والحرص. وبهذا تتم المرحلة الأولى من التزكية لتبدأ مرحلة جديدة أرحب مدى وأعلى أفقا وأسمى غاية.

تنمية الشعور بالآخر بعد منع الاعتداء على الآخر، والوصول إلى حد التوحد في الشعور، وهي ثمرة عبادة الحج "يجعل الناس في المجتمع المسلم أمة واحدة بل نفسا واحدة، وذلك تمام التزكية." كما يقول الفراهي.

وبعد سد أبواب البغي والخصام والهوى والحرص حمى المجتمع المسلم بصون اجتماعاته ومنتدياته من حبائل الاتحاد الفاسدة في المعاقرة "الخمر" وأبواب السماحة الكاذبة في المقامرة "الميسر" لأنها قد تبدو من أسباب الاجتماع والمؤالفة، لكنها أرجاس لا تليق بالمتطهرين، فاستكمل بذلك تطهيرهم وتزكيتهم، وجمع إلى ذلك إصلاح علائق المودة في المجتمع من تربية اليتامى والمناكحة. ووضع دستور الأسرة المسلمة في حال اتصالها [الآيات: 222- 223 في دستور الأسرة في حال اتصالها].

ويعزو الفراهي السبب في تقديم الخمر والميسر إلى ما فيهما من فساد السياسية. وغير خاف ما يحمل هذا المصطلح من بعد حضاري.

ولما كان حفظ الأسرة النواة الثانية بعد تزكية الفرد المسلم؛ فقد أتبع ذلك برفع الخصام بين المرء وزوجه [الآيات: 224-237 دستور الأسرة في حال انفصالها]. وحث هنا على إصلاح ذات البين، والحلم، والأناة، إذ تلك الخصال أدرى للتغلب على الخصام الناشئ في البيت المسلم الذي ينبغي أن يكون عامراً بالسكينة والأمن، ولهذا السبب فقد لاحظ الفراهي أن الحديث كثر عن البر، والتقوى، والإصلاح، والمعروف، والإحسان، والطهارة، والتواضع، والتشاور، والعفو، والفضل بينهم.

وتأتي خاتمة هذا الباب بالصلاة والذكر كما كانت بدايته بهما لتدل على أن الصلاة هي أصل صلاح المجتمع، وعنوان طهارته، وباب نجاته وحفظه من الشقاق والخلاف. فهي معراج روح الفرد والمجتمع سواء بسواء، وينتبه الفراهي لموقع ذكر الصلاة بأنه تنبيه على كونها أهم مقاصد الجهاد. وبهذا كانت الصلاة لصون المجتمع من عوامل التمزيق الداخلية المتمثلة بتنازع أفراد، والخارجية المتمثلة بحملات أعدائه.

ويشير الفراهي في نهاية حديثه إلى أبعاد حضارية عالية الشأن منها أن المحافظة على الصلاة موجب للنصر، وأن الله تعالى ينصر المصلح و يخذل المفسد، وأن الجهاد ليس إلا لرفع الفساد، وبالصلاح يستحقون الخلافة والوراثة. وأن الصلاة هي الأصل، ولها استخلفوا واستحقوا وراثة الأرض.

والعبارة الأخيرة تؤكد سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وتدل عليها أعظم دلالة.

النموذج الثاني: الأبعاد الحضارية التي اشتملت عليها مقدمة تفسير الفراهي:

نعيد هنا مقدمة الفراهي على شكل نقاط ليتبين للقارئ أن هذه المقدمة على قصرها هي نظرات عميقة في البعث الحضاري الذي تم بعثته النبي ورسالته التي كانت في تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية الخلق.

- رأس الحياة التوحيد. فبه تمامها وكمالها.
- التوحيد هو قربان النفس والمال لله، والاعتصام بالعروة الوثقى من التوحيد والتوكل.
- بذل النفس للخلق هو الطريق الوحيد المؤدي لاتحادهم.
- إحساس المواسة بالخلق هو معنى الصلاح، وبه تصوير الجماعة شخصا واحدا، يتعاون بعضهم ببعض كأعضاء جسم واحد، ويتحقق كمال نفس آدم راجعة من التبدد إلى التوحد.
- إحياء الأمة وأسباب بقائها وارتقائها يتلخص في إخلاص بذل النفس والمال لله جل جلاله.

5- خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً النتائج:

خلصت هذه الدراسة إلى:

- (1) إن علماء المسلمين قد قدموا تراثا رائعا في باب التفسير الموضوعي.
- (2) إن الاستفادة من ذلك التراث ما يزال قاصرا بدرجة كبيرة.
- (3) إن الفراهي من أبرز من قدم أصولا منهجية قابلة للبناء والتأسيس عليها واستكمال ما بدأه في هذا المجال الرحب، وأن هذه الأصول قد جاءت في مستوياتها التأصيلي والتطبيقي معا، فصارت بذلك ذخيرة عظيمة في باب التفسير الموضوعي.
- (4) كما أبانت الدراسة عن المستوى العالي من الفهم وبعد النظر في قراءة الفراهي للوحدة الموضوعية في سورة البقرة، والتي أمكن إطلاق البعث الحضاري عليها؛ لاشتمالها على رؤية متكاملة في بناء الإنسان في الأرض، بتخليصه من أنانيته والأخذ بيده في سلم البذل والعطاء على نحو متدرج

لبلوغ ما يستطيع من الكمال الإنساني القائم على التزكية ببعديها معا:
ذكر الله ومواساة الخلق.

ثانياً: توصيات:

- توصي الدراسة بالوقوف على تراث أئمة المسلمين في التفسير الموضوعي بغية الخروج بالأصول العلمية التي تشكل البناء الأساسي لهذا العلم، ويتوجب ذلك بالدرجة الأولى على المجامع البحثية القرآنية.
- إعطاء تراث الإمام الفراهي في هذا الجانب أولوية خاصة، كونه يعد أكثر أولئك العلماء بروزاً في هذا الشأن.
- الإهابة بالنابحين من علماء الأمة والباحثين أن يستكملوا جانب التأصيل الذي ابتدأه أولئك الأئمة الأعلام، خصوصاً الفراهي نتيجة جمعه في التأليف بين إعطاء العلم، وبيان طريق اهتدائه لذلك العلم.

المراجع والمصادر:

REFERENCES

- Al-A'zamī, Mu'ayyan. (2020). *Makānah Al-Firāhī Bāin Al-Mufasssīrīn*. (Vol. 9/4) n.p: Majallah Al-Hind.
- Al-Daghāmīn, Ziyād Khalīl. (2007). *Al-Tafsīr Al-Mawḍū'ī Wa Manhajīyah Al-Bahs Fih*. Al-'urdun, 'Ammān: Dār 'Ammār.
- Al-Firāhī, 'Abd Al-Ḥamīd. (1991). *Rasā'il Al-'Imām Al-Firāhī Fī 'ulūm Al-Qur'an: Al-Majmū'ah Al-'Ulā*. Al-Hind: Al-Dā'irah Al-Ḥamīdiyyah Bi Madrasah Al-'Iṣlāhī.
- Al-Firāhī, 'Abd Al-Ḥamīd. (n.d). *Al-Takmil Fī 'Uṣūl Al-Ta'wīl*, Jam' : Badr Al-Dīn Al-'Iṣlāhī , Taḥqīq Wa Takhrij : Muḥammad Samī' Mufti.
- Al-Firāhī, 'Abd Al-Ḥamīd. (2000). *Tafsīr Niḥām Al-Qur'an Wa Ta'wīl Al-Furqān Bi'al-Furqān Ṣūrah Al-Baqarah*. Al-Hind:Al-Dā'irah Al-Ḥamīdiyyah Al-Hind.

- Al-Firāhī, ‘Abd Al-Ḥamīd. (2002). *Mufradāt Al-Qur’an: Naẓarāt Jadīdah Fī Tafsīr Al-Fāz Qur’aniyyah*. Taḥqīq Wa Sharḥ: Muḥammad ‘Ajmal Ayyūb Al-’Iṣlāhī. Beirūt: Dār Al-Gharb Al-’Islāmī.
- Al-Firāhī, ‘Abd Al-Ḥamīd. (n.d). *Dalā’il Al-Niẓām*, Jam’: Badr Al-Dīn Al-’Iṣlāhī.
- Al-Mushnī , Muṣṭafā ‘Ibrāhīm. (2006). *Al-Tafsīr Al-Muqārin Dirāsah Ta’aṣiliyyah*. n.p: Majallah Al-Shari’ah Wa Al-Qānūn, p. 26.
- Al-Qur’an Al-Karīm
- Rashwānī , Sāmīr ‘Abd Al-Raḥman. (2009). *Manhaj Al-Tafsīr Al-Maūḍū’ī Li Al-Qur’an Al-Karīm " Dirāsah Naqdiyyah "*. Ḥalab: Dār Al-Multaqā.
- Sa’īd, ‘Abd Al-Sitār. (1991). *Al-Madkhal ‘Ilā Al-Tafsīr Al-Maūḍū’ī*. (2nd ed) Al-Qāherah: Dār Al-Tauzī’ Wa Al-Nashr Al-Islāmiyyah.